أكاديمية الشرطة

السعي للآخرة

محاضرة دينية ألقاها بالأكاديمية

العارف بالله سيدي

الأستاذ

حسن كامل الملطاوي

وكيل وزارة الخزانة السابق

يوم الثلاثاء ٢٠ صفر ١٤٠٠

٨ يناير ١٩٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المستمعون الآعزاء .....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتة وبعد .....

فاني أحمد اليكم الله الذى لا إله غيره وأصلي وأسلم علي سيدنا ومولانا محمد الذى جاءنا بالهدى ودين الحق وأخرجنا بأذن الله من الظلمات إلي النور وهدانا الي الصراط المستقيم وكان لنا في سلوكه الأسوة الحسنة لمن أراد أن يتخذ إلي ربه سبيلا ، ورضي الله عن سادتنا الصحابة الكرام الذين تأسوا به في أقواله وأفعاله وأحواله ، وعمن والاهم باحسان إلي يوم القيامة ، ورضي الله عن شيوخنا الأئمة الأجلاء الذين بينوا لنا الاسلام علما وعملا ، وهيأوا مثلي من خريجي كلية التجارة لأن يحاضركم ويحاضر غيركم في المواضيع الدينية التي لاعهد لنا بدراستها في كليات الجامعة ، وهو شرف أعتز به وأذكر فضل الله علي فيه ، وأساله تعالي أن يعلمنا في ديننا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا .

وأن يزيدنا علما ثم إني اشكر لعميدكم الفاضل اللؤاء عبد الله الشربيني عنايتة بالثقافة الدينية اللازمة لكل مؤمن ، والتي هي ألزام لأمثالكم

من خريجي الجامعة الذين تعدهم الاكاديمية لأعمال الشرطة التي تخدمون بها المجتمع بالحق والعدل وفاء بعهدالله لكل من ولي شيئا من أمر المسلمين أو غيرهم من المواطنين . هذا ولم يتسع وقتي لكتابة المحاضرة فاكتفيت باعداد النقاط التى سأشرحها لكم مشافهة فى موضوع المحاضرة وهو "السعي للآخرة " وأرجو أن يكون كلامي نافعا لي ولكم ، والذكرى تنفع المؤمنين .

<u>حكمة وجودنا في هذه الدنيا :</u>

بين الله لنا سبحانه حكمته في خلقنا ، فقال سبحانه في سورة الذاريات (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وتدل هذه الآيات البينات على أنه سبحانه خلقنا وهو غني عنا ونحن الفقراء اليه

فليس حاله معنا كحال السادة من البشر مع عبيدهم الذين يعاونونهم ويخدمونهم فيما يحتاجه السادة من خدماتهم .

وقد سئل سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في معني قوله تعالي (إلا ليعبدون) فقال : إلا ليعرفون ، فعدل عن ظاهر العبادة إلي ثمرتها ، فكأنه تعالي يقول : إلا ليعبدوني

كما رسمت لهم في شرع الاسلام ليكسبوا ثمرة العبادة الصحيحة وهي معرفة الله . ويفرق سادتنا الصوفية بين العلم والمعرفة فيقولون : إن العلم رواية أما المعرفة فهي دارية ، ولنفهم معني الدارية أذكرلكم حديثا نبويا شريفا جاء فيه أن مولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لأحد أصحابه من الأنصار وهو سيدنا حارثة بن مالك الانصارى رضى الله عنه : كيف أصبحت ياحارثة ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا يا رسول الله قال إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة إيمانك ؟قال يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهارى ، وكأني أنظر إلى عرش ربى بارزا ، وكأني أنظر إلي أهل الجنة يتزاورون ، وكأني أسمع عواء أهل النار ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه : عرفت فالزم . ولم يقل له : علمت .

والمعرفة تكون بالقلب الحاضر غير الغافل ، ولذلك يقول سبحانه في سورة (ق) "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد " أي لمن كان له قلب صاح غير غافل عن الاعتبار والاتعاظ .

فالمعرفة إذن مذاق وشعور بالوجدان بأمر غائب عن العيون وحاضر باليقين ، فقد شعر سيدنا حارثة بيقينه بالآخرة وما فيها من نعيم لأهل الجنة ، وعذاب لأهل النار حتي كأنه

يرى الثواب والعقاب رأى العين بين يدى الله عز وجل يوم يقوم الناس لرب العالمين . وذلك شأن الأصفياء الأتقياء من العارفين . وليس كل مؤمن بهذا الوصف وإن آمن بالله واليوم الآخر.

وقد قرأت في تفسير الامام ابن كثير رضي الله عنه: ورد في بعض الكتب الالهية : يقول الله تعالي " ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب ، فأطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شئ ، وان فتك فاتك كل شئ ، وأنا أحب اليك من كل شئ " .

وقد بني الاسلام علي خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإتياء الزكاة ،وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، وإذن .. فالاسلام كلُ لا يتجزأ ، فلا يكفي أن يقول المؤمن إني مؤمن بالله ورسوله والحمد لله ، ثم يكتفى بذلك ولا يقيم الصلاة ، ولا يؤتي الزكاة ولا يصوم رمضان ، ولا يحج البيت الحرام مع استطاعته الحج .

لقد علمنا الله تعالى فى كتابه الكريم أن الكافرين يسألون يوم القيامة عن فروع الدين . فقال تعالى مثلا في سورة المدثر " كل نفس بما كسبت رهينه * إلا أصحاب اليمين في جنات

يتسألون * عن المجرمين * ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتي أتانا اليقين * فما تنفعهم شفاعة الشافعين" .

واذا كان الكافر مؤاخذ بترك الصلاة وإطعام المسكين الى جانب مؤاخذته بالكفر ، فكيف لا يؤاخذ المؤمن باهماله للصلاة والزكاة والصيام والحج . وقوله تعالى في الآيات السابقة (حتي أتانا اليقين) معناه حتي جاءنا الموت في نهاية آجالنا .

وكيف لا يقيم المؤمنون فروع الشريعة وقد فرضها عليهم الله تعالي ، وقال لهم فى سورة البينة (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وفرض عليهم صوم رمضان وقال في سورة البقرة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم لعلكم تتقون) كما قال تعالى فى السورة ذاتها (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وألزمهم بالحج فقال تعالى فى سورة آل عمران (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقد علمنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن استطاعة السبيل هي الزاد و الراحلة ، فمن ملك زادا وراحلة

وجب عليه الحج ، وقرر الفقهاء أن من يستطيع المشى على قدميه دون أن يلقى مشقة فادحة وجب عليه الحج ، فكيف بمن ملك الزاد والراحلة وأضعافا مضاعفة من المال .

<u>الاسلام هو دين الهدى والحق :</u>

بين لنا سبحانه أن الاسلام هو دين الهدى والحق فقال تعالى فى سورة التوبة (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو كره المشركون) كما بين لنا تعالى أنه لايرضي من عباده غير الاسلام ، فقال تعالى فى سورة آل عمران (إن الدين عند الله الاسلام)كما قال تعالى فى السورة ذاتها (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

والأديان السماوية الحقة متفقة كلها في عقيدة التوحيد ، كما قال تعالى فى سورة آل عمران (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون * قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أوتي موسي وعيسي والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وإذن فلا حجة لمن لم يرض بالاسلام دينا .

إسلامنا جاءنا سهلا :

وقد جاء الاسلام للخلف من المسلمين سهلا بعد أن استقر في الأرض بجهاد سلفنا الصالحين من سادتنا الصحابة الكرام وتضحياتهم الكبيرة فقد أوذوا وهاجروا وقاتلوا وقتلوا في سبيل حتي تم لهم النصر علي أعدائهم في غزوات عديدة بقيادة مولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم ودخل الناس بعد ذلك النصر فى دين الله أفواجا.

وقد شاء الله تعالي أن يتدرج بالمسلمين الأوائل تدرجا حكيماً ، فأمرهم أولا بالعقيدة القائمة علي شهادة ألا إله الا الله محمد رسول الله ، يقولونها بألسنتهم ويعتقدونها بقلوبهم ثم فرض عليهم الصلاة في ليلة الاسراء والمعراج . وكانت ليلة الاسراء قبل الهجرة إلى المدينة بسنة ثم فرض عليهم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ، فأكمل الله تعالي الاسلام بالحج وأنزل سبحانه علي مولانا رسول الله صلي الله عليه وسلم فى يوم عرفة فى حجة الوداع التى حجها صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة قوله تعالى فى سورة المائدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) .

وقد كلفنا الله تعالى فى هذه العبادات يسيرا ووعدنا عليها فضلا كبيرا ، فإن أعمارنا في الدنيا محدودة لا تتجاوز

غالباً عشرات السنين ، وقد وعد سبحانه العاملين بدينه حياة خالدة فى جنات النعيم مصداقاً لقوله الكريم في سورة النساء (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليما) .

وقد تعبد الله تعالي قلوبنا بالعقيدة والنيات الصالحة وتعبد الجوارح بالأعمال ، ونحن بين عبادة قلبية وعبادة بدنية وعبادة مالية ، فالصلاة والصيام عبادة بدنية ، والزكاة عبادة مالية والحج عبادة بدنية ومالية ، وفي أتيان هذه العبادات يجب أن تكون نيتنا خالصة لوجه الله تعالي ، فقد قال الله تعالى فى وصف سادتنا أهل الصفة من الصحابة الكرام (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقال سبحانه فى سورة الزمر (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين * ألا لله الدين الخالص) .

وقد علمنا سبحانه بفرض العبادات المختلفة أن الاسلام لا يقف عند عقيدة التوحيد وحدها بل لابد من العمل بسائر الفرائض كذلك وإن تحمل المؤمن في أدائها بعض المشقات ولنتدبر فيما يعلمنا الله به أننا ممتحنون بمشقات التكاليف

الشرعية ومجاهدة النفس فى شهواتها ، كما أننا معرضون للبلايا من نقص الأموال والأنفس والثمرات ، وللصابرين عند الله أجرهم ، وفى درجات احتمال المشقات والصبر على البلايا تمييز بين المؤمنين في صلتهم بالله عز وجل ، وثمرة المجاهدات فى سبيل الله إنما تعود على المؤمنين أنفسهم لأنه تعالى لا تنفعه طاعة المطيعين ولا تضره معصية العاصين ، وكل هذه الدروس القيمة نأخذها من قوله تعالى فى مطلع سورة العنكبوت (ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوآ أمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون * من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم * ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله لغنى عن العالمين * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعلمون) .

<u>زخرف الدنيا الفانية :</u>

وقد نبهنا سبحانه أننا ممتحنون بزخرف هذه الحياة الدنيا الفانية ، وحذرنا من الافتتان بها ووجهنا إلي السعي للآخرة ، فقال تعالى فى سورة الكهف (إنا جعلنا ما على

الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) والجرز هو الأرض التي قطع نباتها والمعنى أن زينتها ستصير ترابا أملس لا نبات فيه . كما يقول تعالي فى سورة الاسراء (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا). وبهذه الآيات الأخيرة يحذرنا الله أن نفتن بأهل الكفر الذين وقفوا بهمهم عند الدنيا وزينتها ويأمرنا بالسعى للآخرة سعيها واللام فى قوله تعالى " لها " تشدنا إلى صدق النية والاخلاص فيما نأتمر به من أوامر الله أو ننتهى عنه من نواهيه ، ويقول إمامنا الشافعى رضى الله عنه : حديث " إنما الأعمال بالنيات ....." يدخل فى نصف العلم . ويقول إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وصف الدنيا : إنها تغر وتضر وتمر ، كما يقول : أف للدنيا وما فيها من البليات ، حلالها حساب وحرامها عقاب .

وقد روى أن بعض المؤمنين كانوا يرون الكافرين فى رخاء وسعة عيش فيقولون : إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد

هلكنا من الجوع والجهد ، فأنزل الله قوله تعالى فى سورة آل عمران (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جنهم وبئس المهاد * لكن الذين أتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار) أى خير مما يتقلب فية الكافرون لقلته بالنسبة لنعيم الآخرة وكذلك لسرعة زواله بموتهم .

<u>الآخرة خير وابقى :</u>

يعيب سبحانه علي الناس إيثارهم للدنيا على الآخرة فيقول تعالى فى سورة الأعلى (بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وابقى) ويقول تعالى فى سورة آل عمران (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب)

ويحذرنا سبحانه من الافتتان بالدنيا والوقوف بهمتنا عندها ويوجهنا عز وجل الي تقوى الله والتحلي بمناقب عباده الصالحين فيقول بعد الآية السابقة (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين أتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله رؤف بالعباد * الذين

يقولون ربنا إننا آمنا فغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار * الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار)

وليس المقصود بهذه الآيات أن ننصرف عن كسب العيش اللازم لحياتنا بل المقصود ألا نضحي بأخرتنا ونهمل السعى لها ونقف جهدنا كله على أمر دنيانا ، بل نعمل لدنيانا فى بعض الوقت ولأخرانا فى وقت آخر ، وقد نهى الاسلام عن أن يكون المؤمن عالة على غيره ، وأمرنا أن نأكل من كسب أيدينا ، وقد من الله علينا بتهيئة أسباب الرزق ، فقال تعالى مثلا فى سورة الملك (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشو فى مناكبها وكلوا من رزقة وإليه النشور) . وأمرنا تعالي بتقسيم أوقاتنا بين أعمال الدنيا والسعى للآخرة فقال سبحانه فى سورة الجمعة (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فأسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) . ونهى سبحانه عن تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة ، فقال تعالى فى السورة ذاتها بعد الآيتين السابقتين (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام

كان يخطب للجمعة فمرت عليه عير تحمل الطعام فخرج الناس إليها إلا اثنى عشر رجلا فنزلت الآية الكريمة بسبب ذلك .

وكان من عادتهم أن يدقوا الطبول اعلانا عن مجئ القوافل بالبضاعة . ومما تقدم نرى أن المؤمن يجب عليه أن يوازن بين مصلحته الدنيوية ومصلحته الأخروية حتى ينطبق عليه قول القائل :

فلا هو فى الدنيا مضيع نصيبة .. ولا عرض الدنيا عن الدين شاغل

<u>الايمان بالآخرة يوجب السعى لها :</u>

ويعجب الامام الغزالى رضى الله عنه ممن يؤمن بالآخرة ولا يستعد لها ويبيعها بالدنيا ، ويرى ذلك من الحماقة ويقول : أن المرء لايبيع الاثنين بواحد ، فكيف يبيع مالا نهاية له بأيام معدودة . ويبصرنا إمامنا الجليل على بن أبى طالب فيقول ، كرم الله وجهه : عجبت لمن شك فى الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن شك فى الموت وهو يرى الموتى ، وعجبت لمن شك فى النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء.

<u>صفات محمودة للصالحين :</u>

وكشف لنا سبحانه عن صفات كثيرة محمودة لعباده الصالحين

لنتشبه بهم ما أستطعنا الى ذلك سبيلا ، إرضاء الله عز وجل ، فقال تعالى فسورة التوبة (إن الله اشترى من المومنيين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فأستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ذلك هو الفوز العظيم * التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) ويعلمنا الله تعالى بهذه الأوصاف أنهم بذلوا النفس والنفيس وهانت عليهم كل تضحية فى مرضاة الله تعالى ، وقد أحبوا الله بكلياتهم وجزئياتهم بالقتال فى سبيله وبانفاق المال فى طاعته وتابوا اليه مما فرط منهم وأقبلوا على عبادته بهمة لاتعرف الملل وحمدوه سبحانه فى السراء والضراء وصاموا تقربا له ، السائحون أى الصائمون . وأكثروا الركوع والسجود بين يديه فرضا ونفلا ونهارا وليلا ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وحافظوا على حدود الله الشرعية فأقاموا الطاعات وتجنبوا المخالفات ، وقاوموا الشهوات .

ويدلنا على ذلك قوله تعالى فى تفصيل أحوالهم فى سورة المؤمنون (قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم

للزكاة فأعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين * فمن ابتغي وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) ونرى من ذلك أن الله تعالى بشرهم سلفا بالفلاح وهو الفوز بالمطلوب والنجاة من المكروه ، فسيدخلهم سبحانه الجنة ويمتعهم بنعيمها الدائم ، وينجيهم من نار الجحيم وعذابها الأليم . وقد جاء فى تفسير الامام أبى السعود رضى الله عنه : وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ، ثم قرأ (قد أفلح المؤمنون .....) حتى ختم العشر .

وكذلك وصف سبحانه عباده الأتقياء فقال سبحانه فى سورة الفرقان (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جنهم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله

إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما * ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متاب * والذين لايشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما * خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) .

والمتدبر فى تلك الأوصاف يرى أن عباد الرحمن حسبوا وهم أحياء فى دنياهم ليوم القيامه حسابه ، وخافوا عذاب الله ، فأقبلوا فى همة عالية على الطاعات وتجنبوا المخالفات ، ومع اجتهادهم فى إرضاء الله ، ينزلون عند سؤاله منزلة العصاة قائلين (ربنا اصرف عنا عذاب جنهم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما) ومعنى (إن عذابها كان غراما)

أى كان شرها ملازما للمذنبين والله جل شأنه لا يجمع على عبده أمنين ولاخوفين ، فمن أمن الله فى دنياه خوفه الله فى أخراه ، ومن خاف الله فى دنياه أمنه الله فى أخراه ولنقرأ فى ذلك قوله تعالى فى سورة النازعات

(فاذا جاءت الطامة الكبرى * يوم يتذكر الانسان ما سعى * وبرزت الجحيم لمن يرى * فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هى المأوى) .

ويقول سبحانه فى سورة الرحمن (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وجاء فى تفسير الامام البيضاوى رضى الله عنه : أى موقفة الذى يقف فيه العباد للحساب أو قيامه على أحواله من قام عليه إذا راقبة أو مقام الخائف عند ربه للحساب فأضيف إلى الرب تفخيما وتهويلا (جنتان) جنة للخائف إلانسى والأخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين ، والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته ، وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات ، وأخرى لترك المعاصى ، أو جنة يثاب بها ، وأخرى يتفضل بها عليه ،أو روحانية وجسمانية . أقول وأذكر لكم فى هذه المناسبة مايقوله السادة الصوفية فى إشاراتهم عند تلك الآية الكريمة ، وقد أعجبني ذوقهم فقد قالوا : هما جنتان للخائف من حساب ربه ، جنة معجلة فى الدنيا ، وهى جنة المعرفة ، وجنة مؤجلة فى الآخرة وهى جنة الزخرفة . وهم يوجهوننا بقولهم هذا إلى

أن نعرف ربنا فى الدنيا لنعيش منعمين بحلاوة الطاعة فى جنة المعرفة ولنكسب الجنة المؤجلة فى الآخرة ، وهى جنة الثواب .

لكنى أقول من الناحية العلمية : إن قوله تعالى بعد الآية الكريمة السابقة (فبأى آلاء ربكما تكذبان * ذواتا أفنان * فبأى آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان تجريان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) يدل على أن الجنتين الموعودتين هما فى الآخرة ، لمن خاف مقام ربه واتقاه فى دنياه ، لأن من خاف من ربه سلم وغنم .....

وكل مؤمن عاقل يجب أن يتعظ بما وعظنا به مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الامام الترمذى بسنده : عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع . عن عمره فيما افناه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسب وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه ، ومما وصف به سبحانه المتقين قوله تعالى فى سورة البقرة (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن

السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون)

وهى آية كما ترونها جامعة للكمالات بأسرها فقد جمعت بين صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس ، وهى توجهنا إلى العناية بالعبادات البدنية والمالية والتحلى بمكارم الأخلاق . وقد قال صلى الله عليه وسلم : من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان .

ولنتأمل مليا فيما وصف الله تعالى به سادتنا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فى قوله الكريم فى سورة الفتح (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى فى وجوههم من أثر السجود) وهو وصف يعلمنا أنهم جمعوا بين الشدة على أعداء المسلمين ، والرحمة بالمؤمنين ، والعناية بالصلاة لأنها أهم فريضة بعد العقيدة ، مع إخلاص النية لله تعالى ، ولهذا استنارت وجوههم من صفاء نيتهم وصلاح أعمالهم .

والذى وصفهم بالاخلاص هو الله سبحانه العليم ببواطنهم وظواهرهم . وتلك شهادة عليا من العلى الأعلى جل جلاله .

وقد علمنا سبحانه أنهم كانوا يكسبون عيشهم ويحرصون على طاعة الله و أداء فريضتهم فقال تعالى فى سورة النور (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإتياء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار * ليجزيهم الله أحسن ما علموا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) فكانت لهم تجارة وبيع وشراء لكسب عيشهم ولكنهم حرصوا كذلك على أداء الصلاة فى أوقاتها و إيتاء الزكاة خوفا من عقاب الله وطمعا فى ثوابه يوم القيامة ، يوم ينبأ الانسان بما قدم وأخر .

وكشف لنا سبحانه كذلك عن قوة عزمهم وشدة إرادتهم وصدق إقبالهم على الطاعات فقال تعالى فى سورة السجدة (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون * فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون * أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون)

وقد دل هذا الوصف على أنهم كانوا يقومون من نومهم للتهجد والناس نيام ، وكانوا ينفقون الأموال فى سخاء ولا يبخلون بأداء الزكاة كما يفعل غيرهم ، لانهم آثروا مايبقى على ما يفنى اتعاظا بقوله تعالى فى سورة النمل (ما عندكم ينفد وما عند الله

باق) وفى سورة المزمل (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) .

وفى مناسبة البذل والعطاء أذكر لكم أن سيدى الامام شقيق البلخى . وهو من كبار السادة الصوفية العارفين . قال رضي الله عنه : عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت بين الدنيا والآخرة فأصبته فى قوله تعالى فى سورة القصص (وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون).

أقول : وهى آية ينفى بها الله تعالى العقل عمن لا يؤثر أخراه على دنياه بعد أن أيقن أن الدنيا فانية منقطعة وأن الآخرة باقية متصلة . ومع هذه الهمة الكبيرة التى كان يبذلها أسلافنا الصالحون فى سعيهم للآخرة فإنهم كانوا يرونها قليلة فى جنب الله تعالى ويستغفرون الله من قلتها بالأسحار ، ويدلنا على ذلك قوله تعالى فى سورة الذاريات (إن المتقين فى جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلا من الليل مايهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفى أموالهم حق للسائل والمحروم)

التأسى بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وإنما تحلى أسلافنا الصالحون بالصفات المحمودة التى أثبتها لهم كتاب الله الكريم لأنهم حرصوا كل الحرص على التأسى والاقتداء بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وأحواله امتثالا لقول الله تعالى فى سورة الأحزاب (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .

وعلى قدر التأسى بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون تقوى المؤمن . ويقول سبحانه فى سورة الحجرات (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) ودلنا هذا القول الكريم على أن درجات التقوى تتفاضل بين المتقين بحيث تكون درجة الكرامة للأتقى فالذى يليه فالذى يليه ، لأن الآية جاءت بصيغة أفعل التفضيل " أكرم و أتقى " ولم تجعل المتقين بدرجة واحدة فى الكرامة .

وثمرة التقوى تبدو فى خلق المؤمن ، وخلق المؤمن له طرفان ، طرف يربطة بالله عز وجل ، وطرف يربطه بالمجتمع ، وقد تحلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى درجة فى الطرفين فشهد له ربه بالخلق العظيم ، فقال تعالى بصيغة مؤكدة (وإنك لعلى خلق عظيم) .

وقد سئلت أم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فى روعة بالغة : كان خلقه القرآن . ومعنى هذه الكلمة الرائعة والجامعة أنه صلى الله عليه وسلم امتثل أوامر القرآن ونواهيه ، فكل ما أمر الله به فى كتابه الكريم ائتمر به صلى الله عليه وسلم فى نفسه ثم أمر به أمته ، وكل مانهى عنه انتهى عنه فى نفسه ثم نهى أمته . وبحرصه صلى الله عليه وسلم على تطبيق أوامر القرآن الكريم ونواهيه صار أحسن الناس خلقا ، وتحلى بالصدق والأمانة ، والصبر والرضا ، والشكر ، والتوكل ، والسخاء ، والحلم ، والعفو ، والرأفة، والرحمة ، والسكينة ، والتواضع ، والرفق ، والاخلاص ، والزهد ، والقناعة ، والخشوع ، والخشية ، والهيبة ، والخوف والرجاء ، والتهجد ، والذكر والعبادة ، والجهاد فى سبيل الله ، والعطف على اليتم ، وحب المؤمنين ، وتمنى الخير لهم ، والغيرة على محارم الله ، وما إلى ذلك من مكارم الأخلاق التى تحلى بها ودعا إليها فكان فيها لأمته المثل الاعلى الذى يحتذى ، وما أهنأنا بأنتمائنا إليه واقتدائنا به صلوات الله وسلامه عليه . وما أشرفنا بقول الله تعالى فى سورة آل عمران (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وهذه الخيرية

نلناها ببركته صلى الله عليه وسلم لأنه أعظم الرسل شأنا وأعمهم دعوة وأدومهم رسالة ، وحظ الوريث من حظ المورث والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

متابعة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على محبة الله :

ولكمال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه جعل الله متابعته صلى الله عليه وسلم دليلا على محبة الله تعالى ، فقال سبحانه فى سورة آل عمران (قل إن كنتم تحبون الله فأتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم)

فطالبهم الله أن يجعلوا لقولهم دليلا من العمل الذى يرضيه سبحانه ، وذلك العمل هو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومتابعته والتأسى به فى أقواله وأحواله ، وقد بلغ فيها كلها صلى الله عليه وسلم قمة الكمال .

وعند تلك الآية الكريمة يقول سيدى الامام القشيرى فى لطائف إشاراته رضي الله عنه : قال أولا(يحببكم الله) ثم قال (ويغفر لكم ذنوبكم) والواو تقتضى الترتيب ، ليعلم أن المحبة سابقة على الغفران ، فأولا . يحبهم ويحبونه . وبعده يغفر لهم ويستغفرونه . فالمحبة توجب الغفران .

وما أروع ما يقول سيدى الامام القشيرى بعد ذلك ، إذ قال رضى الله عنه : والحب حرفان ، حاء وباء ، والاشارة من الحاء إلى الروح ، ومن الباء إلى البدن . فالمحب لا يدخر عن محبوبه لاقلبه ولا بدنه .

<u>التعاون على البر والتقوى :</u>

وقد أمرنا سبحانه أن نتعاون على البر والتقوى ، ونهانا عن التعاون على الأثم والعدوان ، فقال تعالى فى سورة المائدة (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الآثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب) والبر هو فعل الطاعات والتقوى هى ترك المخالفات ، وفى الحديث الصحيح . كما جاء فى تفسير الامام ابن كثير . من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من أتبعه إلى يوم القيامة لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا .

ومن فضل الله على المؤمنين أنه يقيض لهم فى كل جيل من أجيالهم دعاة مرشدين يدعونهم إلى الهدى مصداقا لقوله تعالى فى سورة الأعراف (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدولون) وفى دعاة الحق هؤلاء يقول سيدى الإمام القشيرى فى لطائف إشارته رضى الله عنه: فهدايتهم بالحق أنهم

يدعون إلى الحق ، ويدلون على الحق ، ويتحركون بالحق ، ويسكتون للحق بالحق ، وهم قائمون بالحق ، يصرفهم الحق بالحق أولئك هم غياث الخلق ، بهم يسقون إذا قحطوا ، ويمطرون إذا أجدبوا ، ويجابون إذا دعوا ، ومن وصفه هذا نرى أنهم أولياء الله الداعون إلى الله ، وقد جمعوا بين العلم والعمل والصدق والإخلاص والبركة .

ويقول فيهم سيدى جلال الدين الرومى فيما ترجمه عنه إلى العربية صديقي العلامة الشيخ الصاوى شعلان مد الله فى عمره : سبحان من قدر فهدى ، ووفق كل كائن للغاية من فطرته ، إن إلهام النحل هو الشهد ، وإلهام حشرة القز نسج الحرير، وإلهام البلبل أغانى السحر ، وإلهام رجال الله نور يشهدون به ملكوت السموات والأرض ، صدقوهم هم مصابيح الدجى ، أكرموهم هم مفاتيح الرجا ، (اتبعوا من لايسألكم أجر وهم مهتدون) .

أقول : وهذه الآية الكريمة التى ختم بها سيدى الإمام جلال الدين الرومى كلامه جاءت فى سورة يس ، وجاء فى تفسير الامام ابن كثير أن قائلها هو حبيب النجار (من أصحاب سيدنا المسيح عليه السلام) وقد قال ابن عباس . رضى الله عنهما . صاحب يس حبيب النجار وقد قتله قومه ، وجاء فى ذلك التفسير كذلك فى السورة ذاتها عند قوله تعالى (قيل

أدخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون* بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين) قال له الله : (ادخل الجنة) فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها ، (قال ياليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) تمنى أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله ، وقال ابن عباس . رضى الله عنهما . نصح قومه فى حياته بقوله (يا قوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته فى قوله (ياليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) .

العالم والمتعلم :

ويقول إمامنا الجليل على بن أبى طالب كرم الله وجهه : الناس ثلاثة: عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يركنوا إلى ركن وثيق .

ويقول فى وصف الائمة المرشدين : لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة ، إما ظاهرا مشهورا ، أو خائفا مغمورا ، لئلا تبطل حجج الله وبيناته ، وكم هم وأين أولئك ، والله إنهم الأقلون عددا والأعظمون عند الله قدرا .

" هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة ، فباشروا روح اليقين ، واستلانوا ما أستوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه

الغافلون ،عاشوا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى ، أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة لدينة .

" وقال فيهم أيضا كرم الله وجهه : عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ، فان رواة العلم كثير ورعاته قليل .

وقال سيدى الامام الحسين السبط رضى الله عنه : الناس ثلاثة : رجل كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا ، ورجل كالدواء يحتاج إليه حينا بعد حين ، ورجال كالداء لا يحتاج إليه أبدا .

وقد أخذ سادتنا الصحابة الكرام تربيتهم العالية علما وعملا عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسعدوا بأشرف صحبة وأنفعها ، وأخذ التابعون من الجيل الثانى عن سادتنا الصحابة ، وأخذ تابعوا التابعين من الجيل الثالث عن التابعين وهؤلاء الأجيال الثلاثة هم خير القرون ، إذ يقول صلوات الله وسلامه عليه : خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم " وكانت التربية الدينية فى القرون الثلاثة هى شغل المؤمنين الشاغل ، ثم جنح الناس بعدهم إلى التلهى بالدنيا عن شئون الدين ، فقيل لأهل العناية بالدين الزهاد والعباد ثم عرفوا فى القرن الثانى الهجرى بلقب " الصوفية " وعرفوا به كذلك فى القرون التالية .

ويكلمنا عن الصوفية فى شئ من تفصيل أحوالهم سيدى

الأمام أبو بكر الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠ هجرية فيقول رضى الله عنه فى كتابه " التعرف لمذهب أهل التصوف " :

" سبقت لهم من الله الحسنى ، وألزمهم كلمة التقوى ، وعزف بنفوسهم عن الدنيا ، صدقت مجاهداتهم فنالوا علوم الدراسة ، وخلصت عليها معاملاتهم فمنحوا علوم الوراثة ، وصفت سرائرهم فأكرموا بصدق الفراسة ، ثبتت أقدامهم ، وزكت أفهامهم ، وأنارت أعلامهم ، فهموا عن الله ، وساروا إلى الله ، وأعرضوا عما سوى الله ، خرقت الحجب أنوارهم ، وجالت حول العرش أسرارهم ، وجلت عند ذى العرش أخطارهم ، وعميت عما دون العرش أبصارهم ، فهم أجسام روحانيون ، وفى الأرض سماويون ، ومع الخلق ربانيون ، سكوت نظار ، غيب حضار ، ملوك تحت أطمار ، أنزاع قبائل ، وأنوار دلائل ، آذانهم واعية ، وأسرارهم صافية ، ونعوتهم خافية ، وصفوته فى بريته ، ووصاياه لنبية ، وخباياه عند صفيه ، هم فى حياته . صلى الله عليه وسلم . أهل صفته ،وبعد وفاته خيار أمته ، لم يزل يدعو الأول الثانى ، والسابق التالى بلسان فعله أغناه ذلك عن قوله وفى قوله رضى الله عنه : ووصايا هـ لنبيه ، يشير إلى قوله تعالى فى سورة الكهف ما دحا أهل الصفة وهم من فقراء المهاجرين

الذين آووا الى مكانهم المعروف بالمسجد النبوى " واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وقد سر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الوصية وقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع ناس من أمتى " أقول : وما أروع ما وصفهم الله به فى طاعة الله من علو الهمة وإخلاص النية . وقد جرت سنة الحياة من بدء الخليقة أن يأخذ الخلف عن السلف ، فها أنتم هؤلاء مثلا تخرجتم فى كليات الجامعة بعد أن أخذتم الطب عن أساتذتكم الذين أخذوا علومهم عن سلفهم ، وأخذتم الهندسة عن أهلها وجئتم إلى الاكاديمية لتأخذوا علم الشرطة وعملها عن اهلها ، فاذا دعوتكم إلى أخذ أحكام الدين والتربية الدينية من أهلها فإنما أصدقكم النصيحة ، وأستدل على صدق نصيحتى بموقفى منكم الآن ، فانى تخرجت فى كلية التجارة لكسب عيشي الدنيوى ، وتدرجت فى الوظائف حتى صرت وكيلا لوزارة المالية ، ولست أحاضركم فى المسائل المالية أو الاقتصادية ، ولكنى أحاضركم فى الدين ، وهو شرف أعتزبه كل الاعتزاز ، ولولا أنى تعلمت دينى وتربيت فيه على أيدى شيوخى الأجلاء رضى الله عنهم ،

ما قمت بينكم هذا المقام المشرف .

ولا اخفى عليكم أنى فكرت بعد تخرجى فى كلية التجارة وقلت لنفسى ها أنت ذا قد تخرجت فى علوم الدنيا من الجامعة فماذا عملت فى تحصيل علوم الدين ، وماذا تكون حجتك لو سألك الله عنها يوم القيامة ، فأتجهت إلى حفظ القرآن الكريم الذى خاطبنا الله فيه واسعدنا به ، ولم أشأ أن أحفظ شيئا منه لا أفهم معناه ، فاقتنيت تفسير الجلالين ، وهو تفسير علمى موجز ، ثم اقتنيت تفاسير أخرى أوسع ، ثم أسعدنى الله بمعرفة شيخى الجليلين العارفين بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى وسيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراهما . وهما من أبرك خلفاء قطب زمانه ومجدد قرنه وشيخنا الأكبر سيدى الحاج محمد أبى خليل صاحب الطريقة الخليلية المباركة وساكن ضريحه الأنور الملحق بمسجده المعروف بالزقازيق رضى الله عنه . وقد غمرنى فضلهما حتى ألفت كتابين كبيرين فى العبادات والمعاملات على مذهب الامام مالك وحاضرت كثيرا فى المجتمعات الدينية والصوفية وشرفنى الأزهر فدعانى لأحاضر عدة مرات فى قاعة الشيخ محمد عبده بين طلاب الازهر وعلمائه شرف اعتز به كل الاعتزاز .

<u>أثر الشيخ فى تلميذه :</u>

ويجب على التلميذ أن يدقق فى اختيار شيخه الذى يأخذ عنه دينه ، فيختاره عالما عاملا بالكتاب والسنة ، صادقا مخلصا متحليا بصفات الصوفية العارفين التى استمعتم إليها ، ومن صحت وجتهه لله ، سهل الله له طريق الاستدال عليه .

ويقول سيدى الامام ابن عطاء الله السكندرى فى أثر الشيخ فى مريده (تلميذه) : ليس شيخك من سمعت منه ، إنما شيخك من أخذت عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته ، إنما شيخك من سرت فيك إشارته ، وشيخك هو الذى يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك حتى وصلت اليه . مذاقا لمعرفته . ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه ، فزج بك فى نور الحضرة وقال لك ها أنت وربك .

ويقول فى هذا المقام سيدى محي الدين بن عربى رضى الله عنه : شيخك هو الذى أمات نفسك . أى عن الشهوات . قبل أن تموت ، وجال بك فى عالم الملكوت ، وشيخك هو الذى أخذ منك وكشف عنك ، وشيخك هو الذى حمل عنك المشقات وأنزلك منازل القربات ، وشيخك هو الذى دلك على حالك ، لا من أخذ من مالك .

أما شيخى وسيدى الشيخ على عقل فيقول رضى الله عنه فى إلهامه الفورى المرتجل :

اذا لم يكن للنفس شيخ له هـدى

يؤدبها بالروح زاغت عن الســير

ولا يعبر البحر الخضـم ونـوأه

سوى ماهر يدرى الملاحة فى البحر

ولولا اتصال الكهرباء بأصلــها

على موجة التيار مانورها يسـرى

<u>الرواية والدراية فى الدين :</u>

وللاسلام ناحيتان ، ناحية الرواية ، وناحية الدراية ومن علم الرواية يتفقه المؤمن فى أحكام الدين ، ويقف على الحلال والحرام ، وقد يعلم المؤمن باطلاعه على كتب الدين كثيرا من المسائل الدينية فى الفقه والتفسير والحديث ، ولكنه لا يستطيع أن يكسب بنفسه ناحية الدراية التى يربى بها قلبه فى صلته بالله تعالى ، لأن ناحية الدراية صعبة المنال بل هى مستحيلة بغير المربى الناضج الذى سلك مسالكها وورد مواردها وذاق مشاربها ، ونال فى تربية قلبه من فضل الله وفيضه ما هيأه لنفع غيره ،ولهذا قال العارفون : " العلم رواية "والمعرفة دارية " وهذا ما يفسر لكم قول مولانا رسول الله صلى الله عليه

وسلم لسيدنا حارثة بن مالك الانصارى : " عرفت فالزم " بعد أن شرح شعوره وإحساسه بأمر الآخرة حين سأله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه ، كما سمعتم فى بداية المحاضرة .

ويرى سيدى الامام عبد الوهاب الشعراني رضى الله عنه : أن طلب التصوف واجب على كل مؤمن ، لأن التصوف هو علم القلوب ، ويستدل على هذا الوجوب بأن سيدنا موسى عليه السلام وهو رسول كريم من كبار المرسلين سعى لسيدنا الخضر عليه السلام حتى التقى به قال له فى تواضع لله . كما حكى الله فى سورة الكهف (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا)

<u>النفس أمارة بالسؤ :</u>

والنفس البشرية أمارة بالسؤ فاذا لم يستعن المؤمن بشيخه فى كبح جماحها غلبته فى شهواتها وانحدرت به فى مهاوى المعاصى التى نهاه الله عنها فكان من الغاوين ، وقد نقلنا استماعا من إلهام سيدى وشيخى الشيخ على عقل نور الله مرقده أبياتا من شعره يصف فيها النفس ، وكان سائل قد سأله أن يأتى له بأبيات من إلهامه الفورى المرتجل من عطاء الله لأوليائه على وزن البيت التالى وقافيته :

عجبا لها تهوى الذى تهوى بــه

دون الذى تعلو به فى ذاتهـا

فكان مما قال توا :

(عجبا لها تهوى الذى تهوى بـه)

كم عالم قد زل من نزعاتهـا

تنأى عن الاصلاح طول حياتهـا

وتواصل الاقبال فى شهواتهـا

قد رحبت بالسيئات مريضة

وتضج إن دعيت إلى حسناتهـا

وقفت على الدينار وحسن بلائهـا

فأمالها عن هديها وهداتهـا

والنفس أعدى صاحب تبلى بـه

قد أدخلتنا النار من رغباتهـا

ضحكت على جهالها فتوهمـوا

أن العلا والفوز فى نزواتهـا

فانصح لنفسك فى الأمور لعلهـا

قد ترزق الأنوار فى سبحاتهـا

ترضى تسفلها لكل نقيصـة

(دون الذى تعلو به فى ذاتها)

والشيخ الناصح يعاون تلميذه بمقالـه وحالـه فى تهذيب نفسه ، لأنـه صاحب تجربة سابقة ومهيأ بعطاء الله للدعوة

والارشاد العلمى والعملى والروحى . وأذكر فى هذه المناسبة أنى زرت يوما سيدى وشيخى الشيخ عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه ، فسلمت عليه وجلست بين يديه ، وبعد قليل من جلوسى أحسست خوف يداخلنى وهو صامت لا يتكلم ، وأخذ خوفى يزداد شيئا فشيئا حتى اهتزت أعصابى وظننت أن مرضا يداخل جسدى وكدت أن أقع على الأرض ، ومضى نحو ربع ساعة ، ثم أخذ سيدى الشيخ يتكلم معى ، فقال : أتدرى فيما كنت أفكر؟ قلت لا يا سيدى ، فقال إنى كنت أتفكر فى نار الآخرة ، وكأنى أراها ترمى بشررها ، فأمتلأت خوفا منها ومن حرها حتى كدت أن أموت رعبا ، فقلت وأنا مأخوذ: أنا يا سيدى الذى كدت أن أخر ساقطا على الأرض ، فقد تعدى خوفك إلى روحى وظننت أن مرضا يداخلني .

وهذا الدرس القيم الذى لقننيه بحاله كان أبلغ من درس أسمعه بالمقال ، وهذه الواقعة التى أنقلها لكم من تجربة وقعت لى تكشف لنا عن مخبؤ العارفين ، فالعارف يجالسنا ببدنه ، ويفارقنا بأحاسيسه الروحية ، ولهذا قالوا فى تعريفه : جسمه بين الخلق يسعى ، وقلبه فى الملكوت يرعى .

<u>قتل هوى النفس:</u>

والعارفون لا يصلون إلى مقام المعرفة إلا بعد جهاد عنيف

وجاد لهوى نفوسهم يتمكنون به من كبح جماحها وشد زمامها ، ومن حكمهم الجميلة قولهم : نفسك كالدابة إن ركبتها حملتك وإن ركبتك قتلتك ، ومما نقلناه من إلهام سيدى وشيخى الشيخ على عقل قوله رضى الله عنه :

قتلت هوى نفسى فعشت بلا نفس

وجافيت أنسفأنتهيت إلى الانس

وقد أجمل فى البيت بداية التصوف ونهايته ، فالبداية مخالفة النفس فى هواها واستدامة المخالفة إلى أن ينمحى هواها فلا تقوم له قائمة ، فاذا تخلت عن هواها ، تطهرت من الرذائل ، وتحلت بالفضائل ، فأنست بالله واستوحشت مما سواه ، كما قال سيدى الشيخ على بعد البيت المتقدم:

وعشت زمانى لست أحفل بالورى

وكيف وقلبى هام فى مشهد القدس

وهل غير ذات الله للنفس مطلب

حرام سوى الرحمن يدخل فى نفسى

وما أتخذت روحى سوى الله غاية

فتم الهدى للروح والقلب والحس

وما أروع ما نبهنا إليه من التمسك بالكتاب والسنة حين

قال بعد ذلك نور الله مرقده :

وتوجت بالقرآن نفسى عقيدة

أصون به نفسى عن الزيغ والدس

وإن شرب الناس الطلا وتصببوا

فسنة خير الخلق فى شربها كأسى

ثم علم غيره مما علمه الله تعالى فقال :

وعلمت غيرى ما أفدت من الهدى

فلم يبق ذوفهم لدى على طمس

وقال متحدثا بنعمة الله وراجيا أن يبقى صادقا فى حبه لله تعالى وأن يلقاه راضيا مرضيا :

أحبك يا ربى محبة موقـن

ومن قوة الايمان أصبح أو أمسى

فؤادى قد أبعدت عن مشهد الورى

فطهر فى نجواك من ظلمة الرجس

ولم أعشق الدنيا فتلك متابـة

تهيئ للأخرى وفى فوتها عرسى

ولست من الدنيا أميل الى العلا

فان علا الدنيا لأصحابه ينسى

أمتع أعضائى بذكرك دائمـــا

وهل غير ذكر الله يدخل فى نفسى

وكل رجائى أن أحبك صادقـا

إذ الصدق فى الوجدان مرتبة القدس

إذا رضى الرحمن عن قلب عبـده

جرت مركب الأقدار معه على اليبس

وإذا أردنا أن نقف فى شئ من التفصيل عن قوة صلته بالله عز وجل فلنتأمل فى قولـه رضى الله عنـه :

وقفت على نجوى الإله جوانحـى

لذلك قلبى منزل كله ذكـــر

وأخليت قلبى من مناجاة غيــره

فأصبح طودا لا يزلزله الغيـــر

أسارع مشتاقا وأسكت هائما

وأنطق إجلالا وما عاقنى ســـير

ففى صحوتى شوق وفى غفوتى هوى

وفى مشيتى علم وفى وقفتى سر

ولا تعجبوا أن يهيم فى حب ربه إلى ذلك الحد فانه يقول :

لا تظنوا قلبى ينام من الحــب

ولكن تنام لى عينـــان

وفؤادى لما تعلق باللـــه

ترقى إلى أعز بيـــان

لازم الله باليقين ترقـــى

وتلقى موارد الإحســـان

لو تراه والحب فيه كميــن

فيه عينان بالهدى تجريــان

إن تكلمت فالاله مـــرادى

أو تحدثت فالهدى فى لســانى

وإذا ماإليه مدت يميـــنى

فإلينا مدت لربى يـــدان

كلما قلت يا إلهى شـــربا

أجد البحر زائد الفيضـــان

إن للحب بهجة وجمـــالا

وكمالا فى كل قلـــب دان

محبة الله تعالى فى قلوب المؤمنين :

ومحبة الله تعالى كامنة فى قلب كل مؤمن ، وهى تزدهر

بالطاعات ومجاهدة النفس فى مرضاته سبحانه ، ومعاشرة المريدين لشيوخهم العارفين تعاونهم فى ازدهار المحبة ، وصدق

من قال : ومن عاشر النفس الزكية لم يزل

يزيد بها حسنا على القرب والبعد

ومن طريف ما قرأته فى شأن المحبة والمحبين حوار دار بين امامنا المبارك سيدى على زين العابدين . رضى الله عنه . وبين احدى السيدات الوالهات فى محبة الله تعالى ، فقد دخل مغارة فى جبل فرأى سيدة متعبدة فى المغارة ، فقال لها : من أنت يا جارية ؟ فقالت له : إليك عنى ، لا يذهب الحب ، فقال لها : وما الحب ؟ قالت : أخفى من أن يرى وأبين من أن يخفى ، يكمن فى الحشا كمون النار فى الحجر ، إن قدحته أورى ، وإن تركته توارى ، ثم أنشدت :

إن المحبين فى شغل لسيدهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

<u>لماذا يقال للصوفى الفقير :</u>

وقد يسأل بعضكم : لماذا يقال للصوفى الفقير ؟ وجواب هذا السؤال هو أن السادة الصوفية فقراء إلى الله أغنياء عن غيره لأنه سبحانه يقول (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله

والله هو الغنى الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) .

ومن روائع ما قال سيدى الامام الكبير عبد القادر الجيلانى فى هذا المقام قوله . رضى الله عنه :

فاء الفقير فناؤه فى ذاتـــــه

وفراغه من نعته وصفاتـــه

والقاف قوة قلبه بحبيبـــــه

وقيامه لله فى مرضاتـــه

والياء يرجو ربه ويخافـــــه

ويقوم بالتقوى بحق تقاتـــه

والراء رقة قلبه وصـــــفاؤه

ورجوعه لله عن شهواتـــــه

<u>التدرج فى التربية الروحية :</u>

ويتدرج المؤمن على يد شيخه فى التربية الروحية شيئا فشيئا حتى يصل إلى حال الخواص من عباد الله المتقين ، الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ويعيش بمعرفة ربه فى سعادة لا تعدلها أية سعادة أخرى فى الدنيا الفانية ، فاذا بعث

بين يدى ربه يوم القيامة لقى من جزاء الله فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، وعاش على الدوام منعما مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين ، مصداقا لقوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) .

وأشكركم حسن استماعكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

((حسن كامل الملطاوى))